مجلة المجمع العلمي العراقي

العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية

المجلد التاسع

تعريف بكتاب

« استعمال الآرامية في الامبراطورية الآشورية الحديثة في القرن التاسع الى السابع ق.م »

د. خالد اسماعيل علي
خبير البيئة السريانية

المؤلف هو الدكتور عدنان حميد طه الوَيِّس المدرس حاليا بقسم اللغات الشرقية بآداب جامعة بغداد . والكتاب هو اطروحة مقدمة لجامعة ويلز بالمملكة المتحدة سنة ١٩٨٤ ؛ ويقع في ٣٠٠ صفحة ، مطبوع على الآلة الكاتبة ويتضمن خريطة في آخر الكتاب .

وتدرس الاطروحة دراسة وافية الاستعمال الواسع للارامية في الامبراطورية الاشورية الحديثة (القرن التاسع والثامن والسابع ق.م) .

يتناول الفصل الثاني بعد المقدمة بالتفصيل تأريخ الاراميين من ابتداء ظهورهم حتى زوال دويلاتهم في أواخر القرن الثامن ق.م ؛ عندما اصبحت تحت السيطرة الآشورية . ويدرس هذا الفصل ايضا بالتفصيل جوانب الحياة الاجتماعية والحضارية للاراميين . وأخيرا فانه يتضمن نبذة عن تأريخ اللغة الارامية .

أما الفصل الثالث فقد أُفرد لدراسة الارامية في شمال سوريا ؛ أي دويلات حماة وأرفد (بيت ـ أگوسي) وسَمأل وبيت أَدِيني وبيت بَخيان . ويتناول الباب الأخير من هذا الفصل استعمال البردي مادة للكتابة في غرب آسيا .

وقد اهتم المؤلف في الفصل الرابع بدراسة استعمال الارامية في بلاد آشور استناداً الى المصادر الاشورية • وهناك اشارات في النصوص الى « الكتبة الاراميين » والى استعمال الارامية في الرسائل والى النحوت البارزة والصور التي تمثل صورة كاتبين •

واختص الفصل الخامس ايضا بدراسة الارامية في آشور ، ولكن استنادا الى المصادر الاراميـة التي تتضمن الاوزان ورؤوس الصولجانات وخلاصات عن نصوص آشورية ووثائق وكتابات على الفخار •

وقد تناول الفصل السادس بالدرس ايضا استعمال الارامية في بلاد آشور باعتماد مصادر اخرى ، مثل حادثة رَب شاقه ، كما وردت في التوراة ، ورسالة أدون وقصة أحيقار واستعمال مصطلح « خط آشوري » •

وعرض الفصل السابع الى تأثير الارامية في الآشورية ، كما تشير الى ذلك الكلمات وأسماء الاشخاص الآرامية في النصوص الاشورية •

وأما الفصل الثامن فقد ناقش فيه المؤلف العوامل المؤثرة في أنتشار الارامية في الامبراطورية الاشورية ، أي التجارة والحروب الارامية •

ويعرض الفصل التاسع الاستنتاجات ، وبعده أفرد المؤلف قائمة للمصادر •

كانت اللغة الارامية بأشكالها المتباينة تستعمل في الشرق الادنى القديم لفترة طويلة وفي منطقة جغرافية واسعة •

ويمتد استعمالها من الناحية التأريخية من تأريخ الشواهد الاولى في القرن التاسع قبل الميلاد وحتى الوقت الحاضر • وبلغ أقصى امتداد جغرافي للغة الارامية من النيل غربا الى نهر الهند شرقا •

وكان للارامية أهمية بارزة في تأريخ الحضارة الانسانية . وقد اشتق كثير من الهجائيات العالمية بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الارامية ، أو تأثر بها ، وان من هذه الهجائيات المهمة هي العربية والهجائيتان الاوليان الهنديتان البرهمية والخاروشتية . ويعتقد البعض ايضا ، ان انتقال الحروف الهجائية الى اليونان ، ومن ثم الى أوربا بأجمعها ، تم بشكل شامل بواسطة الارامية ، وليس بواسطة الفينقية ، كما يعتقد عادة . وقد بلغت الارامية اوج ازدهارها بظهور اللغة السريانية التي لعبت هي ايضا دوراً حضاريا ملحوظا .

وتتناول هذه الاطروحة دراسة بدايات اللغة الارامية في وقت ظهور الدويلات الارامية في أعالي بلاد ما بين النهرين وسوريا وطبيعة هذه الدول وتأثير اندماجها في الامبراطورية الآشورية ثم دراسة لغوية للنصوص .

ان مصادر دراستنا هنا هي نصوص آرامية بالدرجة الاولى وآشورية ، وأقل من ذلك نصوص التوراة التقليدية . ان قلة هذه النصوص يؤلف العقبة الرئيسة في البحث . وزيادة على ذلك فان بعض النصوص الارامية مثل رؤوس الصولجانات والفخاريات لا دلالة ظاهرة على تأريخها . وهذا يخلق بعض المصاعب في متابعة تطور الارامية في بلاد آشور . أما بالنسبة للنصوص الاشورية فليس فيها اشارة مباشرة للارامية ، وانما هناك اشارات غير مباشرة مثل الاشكال الفنية وأسماء الاشخاص التي استشهد بها للتدليل على استعمال الارامية .

لقد أعطى شتى الباحثين بعض الدلالات عن أنتشار الارامية في مراحلها الاولى مثل جَي. هـ. ستيفنسن و ل. ديلاپورت و هـ. دونر و دبليو. رولِنگ و ر. ديگن و اي. ليبنسكي و جَي. سِي. ل. گبسون ، الا ان كتبهم جميعاً ليست وافية. وقد اسهم فريق آخر من الباحثين في هذا الموضوع أيضا ، الا أن مؤلفاتهم بعيدة عن أن تكون وافية . ولم يتعرض الا أ. ر.

ميلارد الى هذه المسألة ، ولكنه اهتم بنشر النصوص الارامية الجديدة أكثر من اهتمامه باستعمال الارامية، عدا مقاله الاخير في مجلة العراق ٤٥ (١٩٨٣)• وفي مقاله هذا يتحدث عن استعمال الارامية في بلاد آشور من بعض الجوانب، ولكن بصورة مقتضبة •

وفي الحقيقة لا توجد دراسة وافية لهذا الموضوع ؛ ولهذا فان هـذه الاطروحة تسعى لسد هذه الحاجة

ظهرت الدويلات الارامية في القرن العاشر قبل الميلاد في شمال بـلاد مابين النهرين وسوريا • وهذا يعني أنه كان على الآشوريين ان يقيسوا علاقات معهم في متجارتهم مع ثغور البحر الابيض المتوسـط ، لان طرق التجارة من بلاد آشور كانت تمر بأراضيهم (الفصل الثاني ص ٤٧ وما يلي) • وسرعان ما تحولت العلاقات بين الاراميين والاشوريين ، كما بيّن المؤلف في الفصلين الثاني والثامن ، الى عـداء عسكري وسياسي متصل • وقـد نتج عن هذا الصراع ؛ الذي دام أكثر من أربعة قرون والذي أنتهى بسيطرة الاشوريين على الدويلات الارامية ؛ روابط متصلة وثيقة بين الشعبين ، وامتزاجهما في بلاد ما بين النهرين وسوريا الى حد زالت فيه الحواجز بينهما •

ونجم عن هذا تبادل حضاري بين الاراميين والاشوريين ، كان من أهم مظاهره شيوع استعمال اللغة الارامية في بلاد آشور •

ومما يسترعي الانتباه في هذا الصدد ؛ هو أنه بينما كانت قوة الاراميين العسكرية والسياسية تتناقص بسبب نزاعهـم مع الآشوريين ، الـذين كانوا يتقدمون في سوريا ؛ وتزداد في الوقت ذاته علاقاتهم مع الاراميين ؛ كان تطور اللغة الارامية يتنامى في الدويلات الارامية في شمال سوريا •

وفي الوقت الذي بدأ الاشوريون فيـه بتحويل الدويلات الارامية الى

ولايات آشورية كانت اللغة الارامية قد سادت في تلك الدويلات ، واستمر استعمالها بعدتحول تلكالدويلات الىولايات آشورية. وقدتمكنت الارامية، بسبب هذا ، من الانتشار في الامبراطورية الآشورية . واذا ما وضعنا نصب أعيننا استعمال اوراق البردي في غرب آسيا في كتابة الارامية ، فان أنتشار الارامية في الدويلات السورية كان أكثر بكثير مما تشير اليه كتابات النقوش الارامية المتيسرة بين أيدينا . واستناداً الى هذه الحقيقة فانه من الممكن أن تكون الارامية قد استعملت في الكتابة في هذه الدويلات بكثرة أيضا في القرن التاسع قبل الميلاد

ان الشواهد التي جمعت في الفصل الرابع تبين استعمال الارامية في شتى المجالات في الامبراطورية الآشورية من أوائل القرن الثامن قبل الميلاد. ومع قلة النصوص فانها كافية ، مع ذلك، للاشارة الى انتشار استعمال الارامية في الامبراطورية الآشورية وكانت تستعمل في الادارة ، بما في ذلك الادارة الملكية ، كما تشير الرسائل الى ذلك (الفصل الرابع ص ١٥٧ وما يلي) ، وفي التجارة (حيث تشير الكتابات على الاوزان الى أن التجار الآشوريين كانوا يعرفون الارامية أيضا) (الفصل الخامس ص ١٦١ وما يلي) وفي الدين والأدب . ولم تكن الارامية تستعمل في الادارة المدنية فحسب ، وانما ايضا في الادارة العسكرية ، كما تشير الى ذلك كتابات نحتين بارزين (الفصل الرابع ص ١٤٢ وما يلي) . وان وصف الخط الارامي بـ « الخط الآشوري» هو دليل واضح على الاستعمال الكثير للارامية في الامبراطورية الآشورية (الفصل السادس ص ٢١٥ وما يلي) . ان حادثة رَف شاقه تظهر الاستعمال الدولي للارامية . كما ان رسالة أدون هي مثل واضح آخر على هذا (الفصل السادس ص ١٩٧ وما يلي)

ان ورود كثير من أسماء الاشخاص ذات الصبغة الارامية في الوثائق

الآشورية من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، سواء كانت تلك الاسماء تعود لاشخاص من أصل آرامي أو آشوري انما هو شاهد يضيف وزنا آخر الى دلالة شيوع الارامية في بلاد آشور • ويمكن أن يزداد وزن هذه الدلالة، اذا ما علمنا باستعمال أسماء الاشخاص ذات الصبغة الارامية في مختلف الطبقات الاجتماعية • (الفصل السابع ص ٢٣٧ وما يلي) • وزيادة على ذلك، فان استعمال كثير من الكلمات الارامية في الوثائق الآشورية ، ليس من القرن الثامن قبل الميلاد فحسب ، ولكن بعضها حتى من عصر تجلات بليزر الاول ، انما هو أمر مهم في دراسة موضوع الارامية في بلاد آشور • ان هذه الكلمات الارامية قد استعملت في الوثائق التي تشير الى كثير من مظاهر الحياة ، وان عدداً كبيراً منها هو من الافعال ، وهي حقيقة تشير الى أن الارامية كانت تجري على الألسن بصورة واسعة في آشور (الفصل السابع ص ٢٣١ وما يلي) •

ولذلك ، وبالنظر للطور المتقدم الذي أحرزته الارامية في بلاد آشور ؛ فانه من المحتمل أنه لم يصلنا كثير من الوثائق الارامية الاخرى •• وان مثل هذه الوثائق قد يعثر عليها في المستقبل ، أو ، وهو الارجح ، أنها كانت قد كتبت على أوراق البردي المعرضة للتلف ، ففقدت نتيجة لذلك • وقد أشرنا الى استعمال البردي في كتابة الارامية في الامبراطورية الاشورية في بحثنا عن استعمال هذه المادة في غرب آسيا عموما ، في معرض دراستنا للنحوت البارزة لكاتبين ، وفي بعض الرسائل الاشورية الموجهة من الحكام الغربيين الى الملك الاشوري ، وفي الاستخارات النذرية المقدمة الى الاله شمش في القرن السابع قبل الميلاد •

ويبدو أن استعمال الآرامية أخذ في التزايد في القرن السابع قبل الميلاد ، الا أنه يجب أن تتذكر أن معظم نصوصنا هي من هذا القرن • وعلى

أي حال ، فانها لا يمكن أن تكون قد أصبحت لغة عالمية ان لم يكن قد شاع استعمالها قبل ذلك .

وان هذه الاستنتاجات مهمة في جميع ميدان الدراسة ، لانها تفرض أن موقع الارامية في الامبراطورية الفارسية كان نتيجة لتطورها في أيام الاشوريين . وان تسمية الخط الارامي في تلك الامبراطورية بالخط الاشوري يؤيد هذا الاستنتاج .

ان هذه الاطروحة تفتح آفاقاً جديدة اخرى للدراسة جديرة بالعناية . ومن هذه استعمال الآرامية في الامبراطورية البابلية الحديثة الذي يمكن أن يرسم صورة تأريخية واضحة للتطور المتواصل للارامية ، واستعمال البردي في كتابة الارامية عموماً وتقبل الاشوريين لغيرهم من الشعوب .

* * *